انتحب المذيع وخرجت إلى الشارع مخلفا ورائي صوت شهرزاد صائحا: «إلي أين تذهب يا مجنون؟!».

في الصباح تشاجرنا، علا صوتها وعلا صوتي. قالت: لم تكّف الصغيرة عن البكاء، لم أنم طوال الليل، لا تراعيني ولا تراعي البنات، استيقظتَ من النوم ولم تقل صباح الخير، لم تغسل وجهك، لم تبادلني حرفا، انتحيت جانبا وألصقت أذنك بالراديو الترانزيستور، لم تفتح فمك إلا لكي تصيح فينا. واصلت بيان قائمة المآخذ وواصلت التقليب بين المحطات، لم أقل شيئا. احتدم الشجار حين عادت البنت الصغرى إلى البكاء، صرخت طالبا منها أن تأخذها إلى طبيب أو إلى أمها أو إلى أي داهية. قالت: لا تحب بناتك، قلت: لا أحب أحدا، اتركيني في حالي. بكت. طرقتُ الباب خلفي وتركت البيت، سرت من الروضة إلى كوبري الجامعة، ومن كوبري الجامعة إلى كوبري عباس، ومن كوبري عباس إلى الملك الصالح وعبرت البحر الصغير إلى طريق مصر القديمة والمعادي. سمعت صوت مغنية من أجهزة مذياع في المقاهي تغني: «إلهي ليس لي إلاك عونا». سمعت صوت المقرئ في غير المواعيد المحددة في الإذاعة لتلاوة القرآن. لم أتطلع في وجه أحد، لم أفكر في شهرزاد، لم أفكر في أخي ولا في مصر وصوت أم كلثوم ينبعث من الإذاعة أو من جهاز تسجيل يقول إنها «في خاطري وفي دمي». مشيت في الشوارع من الظهر حتى قبل المغرب بقليل. عدت إلى المنزل قبل موعد الخطاب.

رأيته على شاشة التليفزيون وسمعت خطابه. قال إننا هُزمنا، أسماها نكسة. قال إنه يتحمل المسئولية وإنه يتنحى عن الحكم. وجدت الشارع يموج ببشر مثلي خرجوا من بيوتهم في رد فعل فوري وتلقائي قبل أن يعرفوا لماذا، ربما لكي لا يختنقوا داخل الجدران، أو لكي لا يسقط المبنى على رءوسهم، أو ليكونوا معا لحظة تزلزلت الأرض. تحرك الحشد باتجاه شارع الروضة، وكانت شوارعه الخلفية الممتدة بين البحر الكبير والبحر الصغير في الطرف الجنوبي من